التراث والحداثة في فكر محمد الجابري

فتحي منصور محمد قدورة
كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، fathibrween@gmail.com

الملخص

حاز مفهوم الذات العربي على اهتمام كبير من قبل المفكرين والمثقفين، حيث برزت العديد من المواقف تجاه هذا المعنى فاختلفوا في ردود الفعل تجاه الذات من مؤيد ومعارض، فهناك من اتجه إلى أن التراث منبع كل حضارة، وتقدم ورقي، ومنهم من اتجه إلى قطع الصلة بهذا التراث، ومن بلين هذه الاتجاهات موقف محمد الجابري المفكر العربي المغربي، الذي كانت له رؤية جديدة وهي التوفيق ما بين الجديد والقديم، حيث سنحاول في هذا البحث إبراز أهم أفكاره ومحاولة لتوضيح نظريته التوفيقية التي تحمل نوع جديد من التفكير، حيث سنرى كيف حاول التوفيق بين القديم والحديث، وكيف وجه أفكاره لتحديد معنى التراث، وتقديمه بطريقة عصرية فالحداثة عنده ليست حكرا على شخص، بل الحداثة هي ظاهرة إنسانية تسعى لتحديث الشعوب دون المساس بالثوابت والقيم الاجتماعية.

Abstract:

The concept of Arab heritage has received a considerable attention from thinkers and intellectuals, where many attitudes revealed themselves towards this concept. Some of them were proponent, some were opponent; to Heritage. Some of them advocated that the heritage is the source/root of every civilization, advancement, and progress, others calls to disavow the heritage. Among these trends, stands out the attitude of the Moroccan thinker, Mohamed Aljabri, who had a new vision represented in making the ends of the novel and the ancient meet. This research seeks to display the most significant ideas introduced by him, and explain his reconciliatory theory which sustain new approach of thinking, how he attempted to reconcile between the ancient and novel, how he directed his thoughts to define the meaning of "heritage", how he presented "heritage" in a contemporary way, that is modernism for ALJABRI is not something monopolized be someone, rather it is a human phenomenon pursuing to modernizing people without negatively affecting their established assets and social values.

استلمت الورقة بتاريخ 2023/1/24
وقبلت بتاريخ 2023/3/10
نشرت في 2023/3/15

الكلمات المفتاحية:
التراث - الحداثة – الأيديلوجيا

إشكالية البحث:

1- كل ظاهرة علمية تختص بالفكر اليوم تحتاج إلى إعادة النظر في مضمونها ففي ظل التغيرات التي تحدث اليوم يصحبها تغير في الاتجاهات والمواقف، والتراث نوع من أنواع هذه الظواهر الفكرية.
2- التراث منذ نشأته لم يبنَ على أسس بحثية سليمة فالتراث بنية فكرية غير واضحة المعالم تحتاج منا إلى التعمق والتوضيح.
3- اختلاف أطماع وأهواء المستشرقين وتعدد اتجاهاتهم الفكرية سواء كانت دينية أو سياسية أو اقتصادية زاد من تعميق مفهوم التراث فأصبح أكثر تعقيداً.
4- ضعف في فهم التراث والبنية الفكرية للفكر العربي أمام الأفكار الغربية الحداثة زاد من عمق الإشكالية.
5- ارتباط مفهوم التراث بالأيديولوجيا المعاصرة مع صعوبة فك الارتباط الحاصل بينهما.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في ضرورة كشف خطط عن الأيديولوجيا التي ارتبطت بالتراث وأهدافهم، وذلك لما نرى من أفعال يقوم بها الغربيون لإضعاف العالم الإسلامي بل العالم العربي ككل، سواء في المجال الديني أو المجال السياسي أو المجال الاقتصادي أو الاستراتيجي، وبالرغم من أثر الحداثة في الفكر العربي فإن الكتب العربية التي تدرس حركة التراث ما زالت قليلة إلى حد كبير إذ إن دراسة هذا الموضوع الحيوي مشوبة بالصعوبة والتعقيد والتشابه.

سبب اختيار البحث:

هناك أسباب عديدة لعل أهمها:

- أولاً- الحاجة الماسة لدراسة تراثنا والكشف عن الأيديولوجيات التي تستخدم التراث ضد الحداثة والتقدم.
- ثانياً- خطورة الهجمة الشرسة على كل ما يتصل باسم الإسلام من قبل الغرب وتوضيح موقف المستشرقين ضد تراثنا والقيم النبيلة.
- ثالثاً- محاولة التوفيق من الفكر الذاتي والفكر الحديثي الغربي بما يتفق مع سلوكياتنا وعاداتنا والقيم العربية الأصيلة.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي والمقارن، وذلك فهي تستعرض بطريقة تحليلية فكر محمد الجابري تجاه التراث ومقارنته مع غيره من المفكرين واستنتاج منهجه تجاه التراث.

مصطلحات الدراسة:

1- الأيديولوجيا "Ideology ": تشير هذه الكلمة إلى مجموعة من الأفكار والمبادئ المرتبطة بنسق فكري معين بين مجموعة من الأفراد فهي نسق فكري عام يفسر طبيعة مجتمع يطلق على هذا التجمع اسم أيديولوجيا وتشمل النشاط السياسي والجغرافي والاجتماعي والاقتصادي، فهي نسق من المعتقدات والاتجاه الذي يتبناه مجتمع من المجتمعات الإنسانية. [1]

2- الآخر: هو العالم الذي يقع خارج ثقافتنا فالآخر هو "اللا ذات واللا نحن". [2]

3- الأصولية: استعمل هذا المصطلح لوصف الخصوم الذين يغلب عليهم الطابع الديني فهي "تستخدم الآن للإشارة إلى أي شخص أو جماعة تتسم بالتشدد والصرامة وعدم التسامح والتسلح. وللمصطلح استعمالان، الأقدم منها إيجابي لوصف الذات، ثم تطور لاحقاً إلى استعمال الانتقاصي هو الآن واسع الانتشار وكظاهرة فإن الأصولية هي تكوين ثقافي خاص، ديني أيديولوجي، وسياسي لم يزدهر إلا في الرأسمالية". [3]

4- الذات: "من أكثر الأفكار حضوراً في معجم الغرب الحديث، فنحن نتحدث بلا انقطاع عن الاختلاف بين ذاتنا الحقيقية وذواتنا الاعتبارية". [4]

([1]) إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، ط1، 2013م، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص80.

([2]) طوني بينيت، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ط1، ترجمة سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ص41.

([3]) المرجع نفسه، ص94.

([4]) المرجع نفسه، ص341.

مقدمة:

من المعلوم أن الإنسان، ولاسيما العربي منه، لا يمكن أن يعيش بدون تراثه وذاكرته وثقافته وفنونه وحضارته، وإلا أحس بالاغتراب الذاتي والمكاني، واستشعر النقص والانفصام والعزلة، واسترخص نفسه ازدراء واحتقارا. ويعلم الكل أن الإنسان المسلم قد عرف تراثا زاخرا بالمنجزات الهائلة في شتى الميادين والمجالات، وصار يضرب به المثل في التقوى والعطاء والعلم والإنجاز والاختراع والابتكار. والسبب في هذا الازدهار الثقافي هو التمسك بالشرع الرباني قرآنا وسنة، واهتداء بطريقة الأسلاف إلى غاية العصور الوسطى، وبالضبط إبان فترة الدولة العباسية. بيد أن المسلمين سرعان ما تقهقروا وانحطوا ؛ بسبب انشغالهم بهموم الدنيا، وترك الآخرة، فانهزموا هزيمة نكراء أمام المغول، فتضعضعوا انكسارا وتخلفا، ولم يستيقظوا من سباتهم إلا مع دوي مدافع الغرب، ليجدوا أنفسهم منبهرين بتقنيات الحداثة الغربية. فبدأ المفكرون والعلماء والمصلحون والمبدعون يطرحون سؤالا مهما وجوهريا، أسال الكثير من الحبر إلى يومنا هذا: لماذا تقدم الغرب، وتأخر المسلمون؟ وللإجابة عن هذا السؤال، طرحت إجابات عديدة من خلال رؤى مختلفة ومتباينة، ومنظورات ومناهج متعددة ومتنوعة. هذا، وقد ترتب عن هذا السؤال أن طرحت للنقاش إشكالية الهوية والتبعية، وإشكالية الأصالة والمعاصرة، وجدلية الأنا والآخر، وإشكالية التقدم والتخلف... بل طرحت في المجال السياسي والاقتصادي: إشكالية التفاوت بين دول الشمال ودول الجنوب، وتبعية دول المحيط لدول المركز.

يعتبر عصر النهضة العربية مرحلة من مراحل مهمة للمفكرين العرب والمسلمين في تشكيل الوعي لدى المجتمعات المعاصرة، فجاءت للمرة الأولى في شكل مشاريع إصلاحية للواقع العربي، وكان وراء ذلك جملة من المصلحين يهدفون إلى تحسين أوضاع الأمة العربية القومية ساعين لدخول مرحلة جديدة تعرف بمرحلة الحداثة، التي اهتم بها جل المفكرين المعاصرين، منهم من رفضها ومنهم من رحب بها في سبيل الإعداد للحداثة العربية، ومن هؤلاء المفكرين العرب الذين قدموا اسهامات في هذا المجال المفكر العربي الغربي محمد عابد الجابري، الذي اهتم بالدرجة الأولى اهتمام كبير بالتراث العربي الإسلامي وحاول تقديمه بطريقة عصرية تتماشى مع متطلبات عصرنا الحالي فيفتح حقلاً معرفياً جديداً، مساهماً في بناء فضاء فلسفي يدعو فيه إلى تجديد المعرفة الإسلامية العربية، وذلك بنقده للحداثة الغربية، داعياً إلى تأسيس حداثة عربية مبدعة ومستقلة لها شروط ومبادئ علمية ونظرية وعلى هذا الأساس فلقد اخترنا عنوان لهذا البحث وهو التراث والمعاصرة في فكر محمد عابد الجابري.

يعد التراث من أهم المفاهيم والقضايا التي انشغل بها الفكر العربي الحديث والمعاصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وما يزال النقاش حول التراث مستمراً إلى يومنا هذا من خلال طرح مفاهيمه ومصطلحاته الإجرائية ورصد قضاياه الفكرية والمنهجية وإبراز إشكالياته العويصة رؤيةً وموضوعاً ومنهجاً، وسيتضح ذلك بشكل واضح في مختلف حقول العلوم الإنسانية ومجالات المعرفة الأدبية والفنية والفكرية، نظراً لأهمية التراث العربي الإسلامي في بناء الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة معرفياً وفكرياً وتصورياً، ومدى دوره الكبير في الحفاظ على الهوية والذات والكينونة الوحيدة به، وكذلك نظراً لبعده الاستراتيجي في تحديد الانطلاقة الصحيحة من أجل تحقيق المشروع المستقبلي، وذلك بنشر حداثة عقلانية منشورة، وذلك من أجل تحقيق المشروع المستقبلي، للأمة العربية وترسيخ ثقافة عربية أصيلة لمواجهة الأيديولوجيات الاقصائية الغربية ومحاربة التخلف من جهة أخرى.

فكان لمحمد الجابري دوراً بارزاً في محاولة توضيح معنى التراث ليسهل توظيفه حديثاً وإبراز دوره كعامل فعال في نشر الثقافة العربية الإسلامية.

قسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، ثلاث مباحث رئيسية وهي على النحو التالي:

المبحث الأول مفهوم التراث لغة واصطلاحاً والثاني التراث بين الأيديولوجيا والحداثة والمبحث الثالث النظرة التوفيقية بين الأصالة والمعاصرة عند الجابري.

المبحث الأول: مفهوم التراث

أولا: المفهوم اللغوي

دلالة لفظ التراث في المعاجم اللغوية مشتقة من قبل ورث. فهو مرتبط بالأرض والميراث والتركة، وما يتركه الرجل المتوفى لأولاده، والوارث صفة من صفات الله عز وجل فهو الباقي الحي الذي يرث الخلائق فالله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فالعالم سيبقى وسيبقى الله بعد فنائه يرجع إليه الملك، ونقول ورثه ماله ورثه غير ورثاً ووراثة وإراثة، ورث روثاً إذا مات موروثك، فصار ميراثه لك، وقبل الورث والميراث في المال والأرث في الحسب وورثه في ماله أدخل فيه ليس من أصل الوراثة فيقال ورث فلان بين فلان أي حيلت ميراثه له. وأورث الميت وارثه مال أي شركة له، التراث ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء بدل الواو، والإرث أصله من الميراث، إنما هو ورث، فقلب الواو ألفاً مكسورة الواو، أورثه الشيء، واعفيه اياه. [1]

والتراث هو كل ما ورثناه تاريخياً، والمورث هو بطبيعة الحال الآباء والأجداد والأصول، بكلمة مجردة الأمة التي نحن امتداد طبيعي لها. [2]

وفي قواميس اللغة الإنجليزية لن نجد دلالة هذه الكلمة بمعنى الموروث الثقافي والفكري والديني والمعرفي، بل نجد الدلالات نفسها التي وجدناها في المعاجم العربية، كالتركة وواجب الشكر لهم، وضرورة الأخذ عنهم في مجال العالم. وإذا كان عابد الجابري يعرف التراث بأنه هو: "الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني فإن أحمد العلوي يعرف التراث بأنه:" القرآن وكلام محمد صلى الله عليه وسلم لا غير [3]

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي

ثمة عدة رؤى ومنظورات متفاوتة ومختلفة ومتباينة حول مفهوم التراث، وثمة أيضا تصنيفات عديدة قدمها المثقفون العرب أثناء تعاملهم مع التراث. وقد برز الكثير من الباحثين والدارسين الذين يهتمون بالتراث، مثل: حسين مروة، والطيب التزيني، وعبد الله العروي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الكبير الخطيبي، وغالي شكري، وزكي نجيب محمود، وأدونيس، ويوسف الخال، وحسن حنفي، ومحمد عمارة...

يعد التراث حد من أكثر المفاهيم تعقيداً فاستخداماته على نواحي متعددة فتارة نسحبه الماضي وتارة العقيدة والبعض يطلق عليه الإسلام عقيدة وحضارة وآخرون يرونه التاريخ وأبعاده فأنتم المفكرين إلى نوعين من يؤمن به ومن يرفضه وبذلك تشكلت المواقف السياسية المختلفة. [4]

إن مصطلح التراث في عالمنا العربي وفي ثقافتنا المعاصرة غامض وخصائص ومطاط ومن الصعب الإحاطة به، وتطور وتطويقية بشكل دقيق، ونظراً لتعدد واختلاف الدلالات وما فيها من حيث يختلف المفهوم من منكر إلى آخر ومن مثقف إلى آخر وسببه الاختلاف ما بين المذاهب الفكرية، والمرجعيات وتنوع الانتماء الثقافي، وسعي الأيديولوجيات إلى اثبات ذاتها فمصطلح التراث لم يدفع به إلى الساحة العربية إلا بعد صدمة الحداثة وخروج ظاهرة التعذيب وارتبط مفهوم التراث بمفهوم الأصالة والمعاصرة وألانا والآخر والهوية والخصوصية الثقافية والحضارية. ولهذا أخذ مفهوم التراث لدى بعضهم يقتصر على المخطوطات التي تتناول علوم العربية والإسلام، وساد شعور لديهم بأنَّ "إحياء التراث" يعني تحقيق المخطوطات البالية ونشرها، وأنَّ التراث يقتصر على ما هو قديمٌ وسلبيٌّ من العلوم الإنسانية، ونُسِيت أهمُّ مظاهر الحضارة العربية إبان ازدهارها مثل حرّية الفكر وحرّية الحوار وحرّية الانتقال، انتقال الأفكار والأفراد والسلع، والاعتماد على العقل والتجربة وطلب المعرفة حيث كانت. [5]

يرى الجابري أن التراث الإسلامي الذي بين أيدينا اليوم لم يكن فقط انعكاساً أيديولوجياً للواقع الاجتماعي الاقتصادي في الحضارة العربية الإسلامية بل كان يضم إلى جانب ذلك رؤى ومفاهيم وتصورات دينية وفلسفية وأخلاقية وعلمية انتقلت إلى الحضارات القديمة سيعمل الجانب الإنساني فيه جانب الاستمرارية ويحتل مكانة بارزة إلى جانب الماكنة السياسية إلى الإسلام كدين، أن الفصل بين هين الجانبين في التراث الإسلامي لشيء صعب وأصعب منه الفصل بين الحق والفهم الفقهي للآيات والأحاديث. [6]

([1]) ابن منظور، لسان تهذيب لسان العرب، هذبه بعناية: المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، ص728-729.

([2]) فهمي جدعان، نظرية التراث، الطبعة الأولى 1985، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص17.

([3]) أحمد العلوي: (مناقشة مقال عابد الجابري حول التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1986، ص89.

([4]) المرجع نفسه، ص15-16.

([5]) محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي ودار الطليعة، 1980)، الطبعة الأولى: مدخل عام، ص32.

([6]) محمد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1991.

فالذات إذاً هو التراث الروحي للأمة العربية كما أنه ثورة أخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ البشر. والتراث في منظور هذا الاتجاه ليس هو المستوى المادي المتمثل في هذه الأكداس من الكتب المطبوعة والمخطوطة والتي تشغل مساحات ضخمة على رفوف المكتبات العامة والخاصة ومخازن الأروقة والمساجد. خلال النهضة العربية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حاول المثقَّفون العرب في المشرق إحياءَ التراث الفكري والثقافي العربي، في سعيهم إلى إيجادِ هُويةٍ عربيةٍ مشتركة، تمكِّن من إقامةِ أُمّةٍ عربيةٍ موحَّدةٍ مستقلَّةٍ عن الإمبراطورية العثمانية. فأخذ استعمال لفظ " التراث" في القرن العشرين، يدلّ على "ما ورثه العرب عن أسلافهم من حضارة"؛ وراح اسم" التراث" يختلف في دلالته الخاصَّة عن اسميْن آخريْن مشتقَّيْن من الفعل (وَرِثَ) كذلك، هما "الإرث" و "الميراث"، إذ إنَّهما يشيران إلى نصيب كلِّ فردٍ من تركة الميت؛ فهما يقتضيان وفاةَ الأب وحلول الابن محلَّه، في حين أنَّ "التراث"، في دلالته الحديثة، يشير إلى الإرث الفكري والثقافي الذي وصلنا من آبائنا وأسلافنا على مرّ العصور والذي ما يزال فاعلاً في ثقافتنا السائدة. وهكذا، فإذا كان الإرث أو الميراث المادّي يتطلَّب موت الأب أوَّلاً، فإنَّ " التراث" الفكري والحضاري يعني حضور الأب في الابن، واستمرار الماضي في الحاضر.

ويختلف التراث عن التاريخ على الرغم من أنَّ كلاً منهما متعلِّقٌ بالماضي. فـ "إذا كان التاريخ هو الماضي في بُعده التطوري، فإنَّ التراث هو الماضي في بعده التطوري موصولاً بالحاضر ومتداخلاً معه ومتشابكاً به."

فالذات هو الذاكرة الشعورية واللاشعورية التي يخزنها الإنسان العربي والمعاصر، فيمكن أن يكون أيضاً بمعنى المعرفة ... فالذات هو ما تركه الأجداد والآباء حسب تعبير الجابري فالآداب والعلوم وتقنيات وفنون وتجارب فهو إذاً المورث الثقافي والديني والأدبي والفني. [1]

يظهر التراث في الاستعمالات الأولى مند القرن الثالث عشر كان التراث يحمل معنى روحي ومعنى دينويا كان يدل على شعب اختاره الله كملك خاص له، فكان يقال تراث الرب ثم اقترن مفهومه فاصبح يدل على ما يملكه الشخص من عقارات واموال قد ورتها عن ابويه عند وفاتهم. كذلك نجد مفهوم التراث في الاستعمالات الحديثة تصف التراث بانه العادات والتقاليد التي انتقلت عير الأجيال من الأجداد الى الأبناء فأصبح مفهومه يتداخل مع الثقافة. [2]

(1) محمد عابد الجابري: (التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1986، ص74.

(2) طوني بينيت، مرجع سبق ذكره، ص176.

المبحث الثاني: التراث بين الأيديولوجيا والحداثة

أولاً: التراث من منظور سلفي

لقد فهم الفكر العربي من مؤيد ومعارض للحداثة الغربية فأحدهم يرى أن مشكلة الحداثة تكمن في عدم قدرتهم على خلع الانسان العربي المسلم من دينه نقضي بذلك مناهجهم، ومن ثم فإن ازدهار الإسلام انتشاره في أوساط الشباب فيما عرف بالصحوة الإسلامية يمثل قلقاً دائما للحداثيين من هنا فان خصوصية الحداثة العربية عند الجابري لها دورها الخاص. حيث يتصور الجابري بأن هناك ثلاثة صور للمنهجية وهي الطريقة التقليدية والطريقة الاستشرافية، والطريقة الماركسية، حيث تمثل الصورة الأولى في التفاعل مع التراث كونه شيء تقليدي يظهر ذلك واضحاً في علماء القرويين بالمغرب والأزهر بمصر والزيتونة بتونس وهي الطريقة التي يطلق عليها السلفية الماضوية، وتتصف هذه الطريقة بغياب النقد العلمي حيث يعتمد منهج هؤلاء على ما قدمه الأقدمين أن بأخذ أقوال السابقين كما هي كما تفتقد هذه الطريقة إلى النظرة التاريخية، فلا ينتج عند هؤلاء سوى التكرار، ففي هذه الصورة يبرز المفهوم الديني الماضوي والتقليدي. [1]

هناك نوع من الخطاب الديني ما زال بشير بالحل الإيماني عازلاً له من سياق العمل المتنقل بينما الحل يمكن في العمل على بصيرة وليس مجرد العمل العاطفي، وهذه البصيرة تستعمل الوعي بالدين والوعي بالدنيا التي يعمل فيها الدين وهي التقاء العقل الديني بالقلب النقي بالواقع الحي في تفاعل مستمر. [2] لقد انتهت الحداثة في بلادها التي نشأت فيها ولكن البعض في العالم العربي يصر على بعثها وهاجسيا بالفراغ احام الوعي الإسلامي الناضج، الثقافة الأصول الدين المستوعب لحركة التاريخ. [3]

لقد تحول تطبيق الشريعة إلى ستار أيديولوجي في معارك ظرفية غير واضحة المنطق، والمعنى ولا يستمد أن يكون كثيراً منها تحركها أيد غير نظيفة، أي جمعيات مشبوهة تستغل تطلعات شبابنا وعواطف شعبنا وكان تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلقد كانت الحضارة الإسلامية تكرار للسلف الصالح لا يحتاج إلى إدخال حكم القواعد. فليس التراث قضية فخر واعتزاز بالماضي بما تركه الآباء والأجداد لأن الاعتزاز بالماضي اسقاط من الحاضر عليه بمعنى أنه تعويض عن تصور جيلنا بالهروب إلى الماضي. [4]

فالأحكام الفقهية لا تحتاج إلى نظائر إما زمننا الحاضر فقد اختلفت الوضع تجاه المعاصرة، ومتطلباتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسات والثقافية اختلف كثيراً عما كانت في السابق ولا كف اليوم الحياد في أحكامنا بالحكم الاستبدادي والنظام لأن التقدم العلمي الذي تشهد اتجاه المعاصرة لا يشبه زمن السلف. [5]

يعتبر عن هذا الموقف حسن حنفي فيقول هذا الموقف يكشف عن وضع اجتماعي لفئة معينة من الناس، تبقى المحافظة على مكاسبها والبقاء في مناصبها ترنوا إلى مكاسب أعظم ومناصب أعلى عن طريق الزيادة في الدين، والجمعية في الدفاع عنه فهي ظاهرة اجتماعية أكثر منها طاهرة فكرية أن التقاليد على الماضي كقيمة مطلقة فيه تسبب إلى مناهجهم وتأكيد لسلطاتهم، مستمر بين وراء العلم والدعوة إلى القديم ضد البدع المستخدمة. [6]

إن الدوافع الرئيسية للذات العربية الحديثة تأكيد نفسها عند الحضارة الغربية حيث اتخذت عملية تأكيد الذات شكل الأطباء يتعلق الأمر بالنيابة السلفي في الفكر الحديث والمعاصر، أن الأطباء إلى التراث والاحتماء بالتاريخ يعتبر رد فعل طبيعي لحماية الحالة النفسية للأمة من الأفكار، والشخصية الحضارية التاريخية من الذوبان في مراحل المواجهة الأولى، لكن تبقى المشكلة المطروحة هنا، أن معالجة تخلف أي مجتمع من المجتمعات، ونقله إلى المعاصرة المطلوبة لا تتحقق برواية أمجاد ماضية ونشوة الفخر والاعتزاز واستلامه للمدح الذي يتقلب إلى مانع ومضمون حضاري بدل أن يكون دافعاً إلى تحديد العمل على ضوء هذا الماضي. [7] وإقامة التماثيل لها في كل مكان، وخاصة بعد أن استطاع أصل الحداثة السيطرة على كثير من نوافذ النشر والاعلام والدعاية. [8]

([1]) محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دار الطليعة، بيروت، لبنان، مايو 1982م ص77.

([2]) التراث واشكالية المعاصرة ص50.

([3]) حلمي محمد، الحداثة العربية، ص7.

([4]) حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4، 1992، المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، ص27.

([5]) محمد الجابري، التراث والحداثة، مصدر سبق ذكره، ص10.

([6]) حسن حنفي، المرجع نفسه، ص87.

([7]) أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، ط1، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، 1405هـ، ص11.

([8]) حلمي محمد، الحداثة العربي، ص7.

أن المنهج السلفي بالمبنى الواسع لكلمة سلفية منهم انتقائي يسعى إلى تأكيد الذات أكثر من سعيه إلى شيء آخر، وهو في الأعم والأغلب منهج خطابي يمجد الماضي وينفي الحاضر، ومن هنا تظل الذات التي يريد تأكيدها هي ذات الماضي الذي يعاد بناؤه بالفعل تحت ضغط ويلات الحاضر وانحرافاته. [1]

دعا الجابري إلى القطيعة مع القراءة السلفية للتراث، لأنها، ـــ على حد قوله ـــ "قراءة لاتاريخية، وبالتالي فهي لا يمكن أن تنتج سوى نوع واحد من الفهم للتراث هو: الفهم التراثي للتراث ــ التراث يحتويها وهي لا تستطيع أن تحتويه، لأنَّها: التراث يكرِّر نفسه." فالقطيعة التي يدعو إليها الجابري " ليست القطيعة مع التراث بل القطيعة مع نوع من العلاقة مع التراث، القطيعة التي تحوّلنا من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث [2]

كما يرى عبد الله العروي أن هناك نوعين من المثقفين مثقف سلفي ينظر نظرة تقليدية إلى التراث، ومثقف انتقائي يختار من التراث ما يعجبه، ويخدم رؤيته لكل هذين الاتجاهين فيدعو العروي إلى التقدم الهادف والبناء فأغلب المثقفين أما تعليدي سلفي أو انتقائي يرحمافي وكلاهما يعملان على إلغاء التاريخ، وفي حقيقة الأمر لا يستطيع أي منهم يمحو التاريخ، من مكره لأنه لا يستطيع طمس الحقيقة وسيصل كل منهم إلى نتيجة واحدة وهي عدم رؤية الواقع. [3]

الفكر العربي يئن تحت ثقل أطراف المعادلة التي يحتويها فيلجأ إلى تعويض النقص فينوب الموضوع عن الذات "هنا تذوب الذات في الموضوع وينوب عن الذات التي يتوارى ما تبقى منها، بعيداً إلى الوراء بحثاً عن سلف تتكئ عليه لترد الاعتبار إلى نفسها من خلاله وبواسطته ... والفكر العربي الحديث والمعاصر من هذا القبيل لذلك كان معظمه سلفي النزعة والميول، وإنما الفرق بين اتجاهاته وتياراته هو في نوع السلف الذي يتحصن به كل منهم". [4]

إن المنهج السلفي بالمعنى الواسع لكلمة سلفية منهج انتقائي يسعى إلى تأكيد الذات أكثر من سعيه إلى أي شيء آخر، وهو في الأمم والأغلب منهج خطابي يمجد الماضي وما يبكي الحاضر. ومن هنا تظل الذات التي يريد تأكيدها هي ذات الماضي الذي يعاد بناؤه بالفعل تحت ضغط ويلات الحاضر وانحرافاته. [5]ومن بين هؤلاء كان الجابري هذه النظرة التوفيقية فيرونها لن يكون لنا سطور في عصر الحداثة والتقدم الفكري حيث يرى الجابري أن التعصب للتراث ما هو إلا ظاهرة مرضية تتعلق بالتعصب الجمالي لدى الأفراد ويرجع ذلك إلى نكبة 1967 ارتدوا إلى التراث العربي فالثقافة العربية منذ عصر التدوين هي جلة إعادة انتاج هذا المفهوم الذي يجب علينا أن نتجاوزه إلى منهج حداثي لذات ومواكبة هذا العصر وهذا لا يعني أن الجابري رفض الماضي والقطيعة ولكنه يريد الارتقاء بالمستوى ما سيجعله بالمناصرة أو موالية التطور والحداثة العالمية. [6]

ثانيا التراث من منظور استشراقي

يركز الجابري على تجديد مفهوم التراث من العناصر الفهم التراثي والفهم الخارجي الاستشراقي هي أبرز العناصر الذاتوية التي تدخل في تشكيل صورة التراث لمفهوم أيديولوجي، في الساحة الفكرية العربية الراهنة ويقصد الجابري بالذاتوية بما تضيفه الذات إلى الموضوع فيما تتخذه موضوع معرفة، فيما تريد أن تعطيه معنى يحوله إلى كائن معرفي يقول "أن موضوع لا يصلح كائناً معرفياً إلا فيما تدخل معه حوار الذات في حوار أخذ وعطاء". [7]

كذلك يرى الجابري بأن الصورة الماركسية تمثل أيضاً صور من صور الأيديولوجيا الإسلامية العربية التي تعتمد على المأدبة التاريخية وتعاملها مع التراث وتعمل هذه الأيديولوجيا ضمن المركزية الأوروبية وتحول منهجها إلى مصدر تطبيق وتؤمن هذه المجموعة بمعالجة الفكر الأوروبي. كما تعكس دراسات الباحثين العرب ذات الطابع الاستشراقي والاستغرابي مدى التبعية الثقافية والفكرية للغرب. ومن ثم، تعتمد هذه الصورة على الفهم الخارجي لمفهوم التراث. وفي هذا الصدد، يقول محمد عابد الجابري:" فالصورة العصرية الاستشراقوية الرائجة في الساحة الفكرية العربية الراهنة عن التراث العربي الإسلامي، سواء منها ما كتب بأقلام المستشرقين أو ما صنف بأقلام من سار على نهجهم من الباحثين والكتاب العرب، صورة تابعة.إنها تعكس مظهرا من مظاهر التبعية الثقافية، على الأقل على صعيد المنهج والرؤية." [8] زد على ذلك، يرى أدونيس في معظم كتاباته،

([1]) أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص42.

([2]) محمد عابد الجابري، نحن والتراث، مرجع سبق ذكره، ص21.

([3]) عبد الله العروي: أزمة المثقفين العرب، تقليدية...أم تاريخية، ترجمة د.دوقان قرطوط، ص158.

([4]) محمد الجابري، نحن والتراث، ص16.

([5]) محمد الجابري، التراث والحداثة، مصدر سبق ذكره، ص42.

([6]) محمد الجابري، المصدر نفسه، ص15-16.

([7]) محمد الجابري، نحن والتراث، مصدر سبق ذكره، ص30.

([8]) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مصدر سبق ذكره، ص73-74.

ولاسيما في كتابه: "الثابت والمتحول"، أن التعامل الحقيقي مع التراث العربي الإسلامي ينبغي أن يقوم على خلخلة هذا التراث، وغربلته غربلة جيدة، وذلك في ضوء مناهج حديثة ومعاصرة، عن طريق قراءة واعية ومتعمقة قائمة على التفكيك والتركيب، والبحث عن نقط التحول والتغير والمغامرة الحداثية في هذا الموروث الإنساني، مع إبعاد كل ما يمت بصلة إلى الدين والمقدس والثابت القيمي والأخلاقي. ويعني هذا أن أدونيس يدعو إلى قراءة للتراث قائمة على التثوير والتغيير والتطوير. وإن كانت هذه القراءة الحداثية غير موضوعية إلى حد ما، لكونها خاضعة لمشرح التغريب والاستلاب والهدم، وتنطلق من مرجعية تفكيكية أجنبية، لا تعترف بالدين والقيم والأخلاق والأعراف[1].

الثقافة الغربية تتعامل مع العرب والمسلمين والدول النامية كدرجة ثانية في مرتبة البشر وأنهم أناس خارج التاريخ والحداثة فواجب على الغرب التدخل لتحديثهم واصلاحهم وتطويرهم حيث يرى جان كلود بارود بأن "بنقلاديش مثلاً لو استبدلناهم بالهولنديين مستظهر في غمضة عين القنوات والسدود وطواحين الهواء في وادي نهر انجانجا". [2]

"صحيح أن كثير من المفاهيم والمقولات والتصورات التي تؤسس الفكر الأوروبي المعاصر ذات الطابع الأيديولوجي واضح، وتصدر عبر نزعة استطلاعية أو ميول امبريالية، أو مصطلحات محلية خاصة أو عرفية أو دينية، ولكن ذلك كله لا يؤثر بكيفية أساسية في طابع العالمية والشمولية في الفكر الأوروبي المعاصر، ول من البحث فيه من الأجوبة لكثير من الأسئلة التي يطرحها علينا واقعنا الراهن ومستقبلنا المنشود. [3]إذ أن التحديث يتمخض عن هذه الأزمة في نطاق واسع فهو يقتحم حياة البشر بالتغذية والاضلال والحجرة، ويجبرهم على عقلنة جذرية لنظرتهم إلى العالم، وإلى نزع العدالة عبر التقاليد، ويجعل الثقافات ضمن فضاء زمني قصير بدرجة لا يمكن تصورها في مواجهة عريضة مع الآخر الذي يبدو قادماً من الخارج. [4]

([1]) ادونيس، الثابت والمتحول، ص.

([2]) الاسم العدو، ص41.

([3]) محمد الجابري، التراث والحداثة، مصدر سبق ذكره، ص40.

([4]) هارالد مولر، تعايش الثقافات، ترجمة إبراهيم ابوهشهوش ط 1 دار اويا لطباعة والنشر والتوزيع ليبيا ص86.

المبحث الثالث: التوفيق بيت الأصالة والمعاصرة

أولا تحديث التراث

التيار الذي انشغل أكثر من غيره بالتراث في قراءة أيديولوجية سافرة، أساسها اسقاط صورة المستقبل الأيديولوجية على الماضي، ثم البرهنة انطلاقاً من عجلة يمكن تتحقق في المستقبل لقد لبس هذا التيار لباس حركة دينية وسياسية إصلاحية ومتفتحة وحركة وتنادي بالتحديد وترك التقليد أن ترك التقليد يكتسب في معنى خاص أن إلغاء كل التراث العربي والمنهجي القادم إلينا من عصر الانحطاط والأغدار ذات الوقت من السقوط فريسة للفكر الغربي بمعنى علينا بناء فكر جديد انطلاقاً من الأصول مباشرة يقول حسن حنفي "التراث والتحديد يمثلان عملية حضارية هي اكتشاف التاريخ وهو حاجة ملحة ومطلب ثوري في وجداننا المعاصر". [1]

فالتراث هاماً لفكرنا الحديث وأساساً لحضارتنا وانطلاقاً من هذه النظرة فإن النظرة السلبية لتراث من قبل محتلي المعاصرة باعتبار شيء ناقصاً لا ستحق الذكر، إن هذا الموقف يعكس نظرة نخبوية تعيد الإدارة الجماعية كما أن رفض التراث يقود إلى إلغاء الذات والهوية تتحول إلى أدوات مسخرة لثقافات أخرى تفقد معها القدرة على الممارسة الخفيفة للإبداع الحضاري. أما علي زيعور فينظر إلى توظيف التراث نظرة سيكولوجية، وذلك باعتباره مؤشرا حقيقيا للدفء الذاتي، ومنبعا للاستقرار والتوازن النفسي، ووسيلة لتحقيق الشعور بالانتماء الحضاري والثقافي، وتوفير الراحة النفسية أثناء التعامل مع الآخر، فيقول علي زيعور بأن:" التشكيك بقيمة الموروث الحضاري عملية تزعزع الثقة بالنفس وبالنص؛ لأنها تخل بالتوازن بين الأنا وحقلها الحضاري الذي يعطي الإنسان عمقا، وقيمة، وشعورا بالانتماء. ومن ثمة، بالأمن والاطمئنان. أي: بالقدرة على الاستمرار والتكيف." [2]

ولعل من أبرز هؤلاء المفكرين اللذين وقفوا موقف التوفيق بين الأصالة والمعاصرة الجابري فالأصالة عنده مثل المعاصرة، لا تدل على شيء، فهي ليست ذاتاً ولا واقعاً، إنها أوسمة لكل عمل يدوي أو فكري يبرز فيه جانب الابداع بشكل الإنتاج الأصيل قد يكون قديماً معاصراً والأصالة فوق ذلك لا تقدم أولاً فليست خلقاً من لا شيء بل هي في الغالب صياغة جديدة جملة من العناصر أو الأصول المعرفة أنها عملية دمج تعطي كائناً أو بنية جديدة. [3]

بأن هناك اتصال عضوي بنيوي، بين الأصالة والمعاصرة وجدلية مترابطة حاسمة فهي وحدة واحدة متماسكة ويجمل هنا التماسك في شخصه الفرد والمجتمعات ومن زاوية أخرى يرى أنه من الضروري العودة إلى الماضي ومحاولة فهمه واستيعابه جيداً، وقراءته قراءة واعية فيقول "الحديث عن التقدم يمكن رؤية العصر فيه، وكما أوغل الباحث في القديم، وفك رموزه، وحل طلاسمه أمكن رؤية العصر، والقضاء على المعوقات في القديم إلى الأبد وإبراز مواطن القوة والإحالة لتأسيس نهضتنا المعاصرة، ولما كان التراث يشير إلى الماضي، والتجديد هي قضية التجانس في [4]

وهذا يعني أن تسلم من التراث مواقف أو أفكاراً أو فيما ندمجها في تشكليها اسهاماً حاسماً وذلك يكون بأن تنتفي من التراث جملة المواقف والمفاهيم التي نصلح لأن تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا ونجعلها نمطاً سلوكياً أو ذهنياً لنا في تفكيرنا. [5]

تانيا تأصيل التراث

يدعو الجابري إلى قيام منهج علمي يقوم بالسيطرة على التراث وليس العكس سيطرة التراث علينا فنحن أمام بنية فكرية خطابية تحمل الثوابت المخفية وغير الواضحة فالتراث عبارة عن عبارات قصيرة أو عناوين يراد منها أن تدل على معنى كثير فمن هنا تلبس التراث قوة الاستعمال أو الاحتواء فينشر نفوذه إلى أوسع مدى، يرى الجابري يتعلق الأمر إذا بطريقة عملية في التعامل مع الموضوعات المدروسة التي من نوع موضوعنا اعتماد الموضوعية أي أنها تحقق قدراً كافياً بين الذات والموضوع فيسمح برؤية الأشياء كما هي. [6]

يختلف الجابري قليلاً عن مؤيديه في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة وهي نظرة واقعية نوعاً ما فيصف الواقع الفكر العربي بأنه محاصرون فالواقع إما أن نتعامل مع المفاهيم الغربية كما هي ونسقطها كقوالب فكرية

([1]) حسن حنفي، مرجع سبق ذكره، ص20.

([2]) علي زيعور: التحليل النفسي للذات العربية وأنماطها السلوكية والأسطورية، دار الطليعة/ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص115.

([3]) محمد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص41.

([4]) حسن حنفي، مرجع سبق ذكره، ص17.

([5]) فهمي جدعان، مرجع سبق ذكره، ص26.

([6]) محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي ودار الطليعة، 1980)، الطبعة الأولى: مدخل عام، ص46.

جاهزة رغم وجود معارضة لهذه الطريقة وإما أن تتعامل معه فقط بمفاهيم ترابية وهذا اجترار وتكرار، وإما أن ينتج عالماً آخر من المفاهيم، وهذا ما لم نصل إليه حتى الآن. [1]

فمن الواضح أنه هناك توافق لعدد من المفكرين العرب تجاه النظرة التوفيقية بين التراث والمعاصرة فهما في بوتقة واحدة والجميع بينهما يساعدنا على فهم الآخر وكيفية التفاعل مع التراث حيث يجعل التاريخ حركة كلية غير منفصلة. [2]

فنحن كي نجعل التراث صباً راهناً أو كي نجعله يستجيب لحاجات ذات طابع عقلي أو علمي ملح، نقوم بإعادة قراءته بحسب هذا المنهج أو ذلك مما نختار من مناهج راهنة معاصرة، فيدو التراث، مع ذلك أو بذلك، معالياً لنا ولأحوالنا ويبدو جزءاً طبيعياً من الحياة الحديثة. [3]

فالفكر العربي المعاصر عبارة عن محاولات مسترسلة تتأرجح بين اتخاذ موقف وتحديد رؤية لهذا يقول محمد أركون "نحن بحاجة إلى ثورة فكرية حقيقية ... إلى أعماق الاشب"، وهذه تعتبر منظورنا ضرورياً للذات وهكذا فبدلاً من يكون الذات قوة تشدنا إلى الخلف يصبح قوة تحريرية تساعدنا على الإقلاع والانطلاق الحضاري ولكن هذا لن يتم قبل القيام بمسح تاريخي شامل للتراث. [4]إن الفصل بين الفكر الغربي والفكر الشرقي في الثقافة المعاصرة فصل تعسفي لا علمي مثلما الفصل في تراثنا بين ما هو عربي وما هو إسلامي، أو بين ما هو عربي إسلامي وما هو غير عربي وغير إسلامي بعملية تعسفية لا علمية أن الفكر العالمي المعاصر يمكن بل يجب التمييز فيه فقط بين ما يخدم التقدم ويسير في اتجاه تطور التاريخ، وما يخدم الواقع الاستغلالي والهيمنة الامبريالية أو القومية العربية ذلك فقط هو معيار الثقافة المعاصرة والثقافات الماضية. [5]
التراث هو من انتاج ويحتويه. [6]

ومن زاوية أخرى، يرى الباحث المصري الدكتور حسن حنفي أنه من الضروري العودة إلى الماضي لفهمه جيدا، واستيعابه بشكل متأن وواع، وقراءته قراءة سياقية وظيفية، وذلك لفهم حاضرنا المعاصر، وتنويره بطريقة إيجابية بناءة وهادفة، قصد تحقيق أصالتنا من أجل السير به نحو التقدم والازدهار. وفي هذا النطاق، يقول الدكتور حسن حنفي:" الحديث عن القديم يمكن من رؤية العصر فيه، وكلما أوغل الباحث في القديم، وفك رموزه، وحل طلاسمه، أمكن رؤية العصر، والقضاء على المعوقات في القديم إلى الأبد، وإبراز مواطن القوة والأصالة لتأسيس نهضتنا المعاصرة، ولما كان التراث يشير إلى الماضي، والتجديد يشير إلى الحاضر، فإن قضية التراث والتجديد هي قضية التجانس في الزمان، وربط الماضي بالحاضر ، وإيجاد وحدة التاريخ". [7]

إن الربط بين الأصالة والمعاصرة في تراثنا سيبقى سطحياً ما لم نقم بدمج التراث في ثقافة العصر، وثقافة العصر في التراث، نقصد بذلك التعامل مع الثقافة فتستند إلى التراث يوعي وتقدله يوعي، والتعامل مع التراث كأشخاص معاصرين مسحلين بثقافة "فالتراث سيضل جثة هامدة إن لم يكن هناك مبدأ صنع علمية تقوم بتشريحها، والمبدأ صنع عملية ستشوه الجثة وإن لم تتمسك كما أن وطنية واعية، إن الممارسة النظرية الواعية لتراث وثقافة العصر معاً والممارسة العلمية للحياة النضالية التي تخوضها سعياً من أجل الازدهار والتقدم وهي السبيل الوحيد لخلق ثقافة وطنية صحيحة مستقلة ثقافة ليصنعها التاريخ وتصنع التاريخ لثقافة أصيلة ومعاصرة معاً. [8]

([1]) محمد الجابري، التراث والحداثة، مصدر سبق ذكره، ص358.

([2]) عباس الجراري: الثقافة في معترك التغيير، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص56-57.

([3]) فهمي جدعان، مرجع سبق ذكره، ص28.

([4]) محمد اركون قضايا الفعل الديني ص223-224.

([5]) محمد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص40.

([6]) المصدر نفسه، ص30.

([7]) حسن حنفي، مرجع سبق ذكره، ص17.

([8]) محمد الجابري، نحن والتراث، مصدر سبق ذكره، ص121.

الخلاصة

يعد التراث من أهم المفاهيم والقضايا التي انشغل بها الفكر العربي الحديث والمعاصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وما يزال النقاش حول التراث مستمرا إلى يومنا هذا، من خلال طرح مفاهيمه ومصطلحاته الاجرائية، ورصد قضاياه الفكرية والمنهجية، وإبراز إشكالياته المعاصرة رؤية وموضوعا ومنهجا .ويتمظهر ذلك بشكل واضح في مختلف حقول العلوم الإنسانية و مجالات المعرفة الأدبية والفنية والفكرية؛ نظرا لأهمية التراث العربي الإسلامي في بناء الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة معرفيا وفكريا وتصوريا، ومدى دوره الكبير في الحفاظ على الهوية والذات والكينونة الوجودية، وكذلك نظرا لبعده الاستراتيجي في تحديد الانطلاقة الصحيحة من أجل تحقيق المشروع المستقبلي، وذلك بتشييد حداثة عقلانية متنورة، وذلك عبر ترسيخ ثقافة عربية أصيلة ومعاصرة. و لن يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى التراث العربي الاسلامي لغربلته من جديد، ونقد مواقفه فهما وتفسيرا، بغية استكشاف المواقف الإيديولوجية الإيجابية لمواجهة الاستعمار من جهة، ومحاربة التخلف من جهة ثانية، وتقويض النزعة المركزية الاوربية من جهة ثالثة .

وخالصة القول، يتبين لنا بأن منهجية محمد عابد الجابري في تعامله مع التراث العربي والاسلامي وبالأخص في مجال الفكر والفلسفة، منهجية بنيوية تكوينية تعتمد على خطوات ثالث، وهي: أول ، المعالجة البنيوية الداخلية التي ترتكز على استقراء دالات الألفاظ والمفاهيم،

واستكشاف المعاني والمعطيات الدالية، وتحديد القضايا والإشكاليات. وثانيا، المعالجة التاريخية التي تعنى بتبيان الأبعاد التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أفرزت هذه الإشكاليات الفكرية والفلسفية المطروحة من قبل صاحب النص. وثالثا، الوظيفة الإيديولوجية التي يحوجها النص أو المعنى الدالي أو الفكري الداخلي ومن هنا، فمنهجية الجابري تقوم على مجموعة من المبادئ الرئيسية، وهي: ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وفصل المقروء عن القارئ لتحقيق الموضوعية، ووصل القارئ بالمقروء لتحقيق الاستمرارية، والاعتماد على رؤية منهجية قائمة على وحدة الفكر ووحدة الإشكالية، والنطاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي والمضمون الأيديولوجي، حين التعامل مع الفكر.

النتائج:

1- اختلفت القراءات العلمية للتراث كل حسب توجيهاته الفكرية والأيديولوجية.
2- لقد تحول مفهوم التراث مؤخراً إلى مفهوم سياسي يوظف لأيديولوجيات سياسية تسعى لطمس الهوية واقصاء الآخر.
3- هناك تداخل كبير جداً بين مفهوم التراث ومفهوم الثقافة فنتج عن ذلك التداخل بروز العديد من الاتجاهات الفكرية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي تدافع عن الثقافة وتعزيز دورها السياسي بين الأمم.
4- يتضح من خلال هذه الدراسة بأن محمد الجابري قد تنبه إلى وجود اهتمام كبير من قبل العلماء والمفكرين الغرب بأهمية التمسك بالتراث فحاول الرجوع إلى المفهوم وقراءته قراءة جديدة بما بتوافق مع توجيهات الحداثة.
5- حاول بعض المستشرقين الغربيين دراسة التراث لأغراض سياسية حيث انجر الكثير من المثقفين العرب مع هذا التيار.
6- حاول الجابري توضيح الارتباط الحاصل ما بين الاستشراق والتراث حيث تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل الفكرية للجابري أن يوضح لنا هذا الارتباط السياسي بين مفهوم التراث والاستشراق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1- محمد الجابري، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط1، 1989، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
2- محمد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991، بيروت، لبنان.
3- محمد عابد الجابري: (التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، 1986، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
4- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دار الطليعة، 1982م، بيروت، لبنان.
5- محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي (الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي ودار الطليعة، 1980)، الطبعة الأولى: مدخل عام.

ثانياً: المراجع:

1- أدونيس: الثابت والمتحول، دار الساقي، 2006م، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة.
2- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، ط1، 2013م، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
3- أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، ط1، 1405هـ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر.
4- جاسم سلطان، التراث واشكاليته الكبرى، 2015، تمكين للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان.
5- حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4، 1992، المؤسسة الجامعية للجراسات والنشر والتوزيع.
6- حمد العلوي: (مناقشة مقال عابد الجابري حول التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ط1، 1986، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
7- زكي نجيب محمود، قيم التراث، ط1، 2000، دار الشروق، القاهرة – مصر.
8- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة وتحقيق: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار الجيل بيروت، ط8، 1993 م، و دار الأفاق الجديدة بيروت.
9- سعيد بن سعيد: (مناقشة مقال عابد الجابري حول التراث ومشكل المنهج)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ط1، 1986، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
10- عباس الجراري: الثقافة في معترك التغيير، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
11- عبد القادر الفاسي الفهري: (مناقشة)، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ط1، 1986م، دار توبقال، الدار البيضاء.
12- عبد الله العروي: أزمة المثقفين العرب، تقليدية...أم تاريخية، ترجمة د.دوقان قرطوط.
13- عبد المجيد دياب، تحقق التراث، الهيئة المصرية للكتاب، مركز تحقيق التراث، دار المعارف، القاهرة، مصر.
14- عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ط1، 1982، كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة جدة المملكة السعودية.
15- علي زيعور: التحليل النفسي للذات العربية وأنماطها السلوكية والأسطورية، ط1، دار الطليعة/ بيروت، لبنان..
16- فهمي جدعان، نظرية التراث، ط1، 1985، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
17- محمد أحمد عبد القادر، بين الأصالة والمعاصرة، 1994، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
18- Lucien Goldmann : Sciences humaines et philosophie. Suivi de structuralisme génétique et création littéraire. Paris: Gonthier, 1966.

ثالثاً: المعاجم والقواميس:

1- ابن منظور: لسان اللسان ، تهذيب لسان العرب، هذبه بعناية: المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، تحت إشراف الأستاذ عبد أحمد علي مهنا، الجزء الثاني، ط1، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
2- طوني بينيت، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ط1، ترجمة سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان.